

الكتابة للذات والهروب من الوباء

قراءة في "رسائل لم يحملها ساعي البريد" لراوية يحيياوي / الريم حجوج

الكتابة للذات والهروب من الوباء

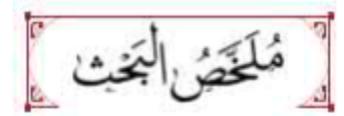
قراءة في "رسائل لم يحملها ساعي البريد" لراوية يحيياوي

writing for the self and escaping the pandemic ,
A reading of unclaimed metters by rawiya yahyawi

الريم حجوج

جامعة الجزائر2؛ أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، rim.hadjoudj@univ-alger2.dz

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2024 / 03 / 01	2024 / 01 / 28	2023 / 11 / 27



في رسائل لم يحملها ساعي البريد نجد أن الذات الأدبية تلجأ لكتابة هذا الفن كنوع من الغوص في دواخلها، على هذا الأساس جاءت دراستنا الموسومة "الكتابة للذات والهروب من الوباء-قراءة في رسائل لم يحملها ساعي البريد لراوية يحيياوي- " كونها تسلط الضوء على تأثير كورونا في نفسية الكاتبة وسعيها إلى مواجهة هذا الوباء بكتابتها الأدبية، وسردها لتلك القصص التي جمعتها بعائلتها في زمن مضى. وقد توصلنا إلى أن طبيعة الرسالة وماهيتها مختلفة عن بقية الأجناس الأدبية لأنها تنقل كيمياء الحس الكتابي الدافع لفعل الكتابة.

الكلمات المفتاحية: الكتابة للذات، أدب الرسائل، الهروب، الخوف، الوباء. راوية يحيياوي.



In unclaimed letters carried by the postman, literary self turns to the art of writing as a form of catharsis for its inner complexities. Our study, titled « writing for the self and Escaping the pandemic, A Reading of Unclaimed metters by Rawiya Yahyawi » sheds light on the impact of COVID-19 on the author's psyche and her endeavor to conront this pandemic through her literary writing, narrating stories from her past with family . we have concluded that the nature and essence of these letters differ from other literary genres as they convey the chemistry of the emotional impulse driving the act of writing.

keywords: writing for the self, epistolary literature, escape, fear, pandemic, Rawiya Yahyawi narrative.

1. مقدمة:

إن ارتباط الإنسان بمكان نشأته وسط عائلته، وموطن ميلاده يجعله مفتونا به وبمن فيه، من أهل وأقارب والابتعاد عنهم يخلق في نفسه وحشة وحنينا، والمبدع في هذه الحالة دائما ما يلجأ إلى الأدب الذي يحاول من خلاله ترجمة مشاعره و دواخله، من خلال استعماله لغة يستند إليها لتحمل عنه كل تلك الحمولات المكنونة، ومن بين الأجناس الأدبية المتضمنة لها- الحمولات- نجد الرسالة الإخوانية التي تعتبر جنسا أدبيا هامشيا يمنح الأدب توهجا ويمنح الأديب مساحة وجدانية تحمل كمًا ثقافيًا بغية تحقيق التواصل مع المرسل إليه بصورة فنيّة وجماليّة، ولقد لقيت اهتماما كبيرا في الأدب.

وباعتبار الرسائل تقول ما حدث عبر خصائص فهي تعطيها هويتها من مرسل ومرسل إليه ورسالة، تخاطب الحاضر والمستقبل حاملة لهم الماضي فتكون ألفاظها مختارة بعناية وعباراتها مشحونة بالمعاني تسهم في التعبير عن المشاعر والأحاسيس عن طريق الكتابة والحكي باستحضار الواقع وتفعيل المتخيل، فهي كينونة محاكية تتسرب إلى وجدان المستقبل فتحقق التخاطب بين المرسل والمرسل إليه.

ولأن الرسالة هي خطاب نسقي فهي تشتمل على بنيتين، بنية سطحية تجسّد لنا اللغة بعلاماتها، وبنية عميقة تتجاوز الظاهر وفق أنساق مضمرة تحمل أبعادا ثقافية، تترصد لها القراءة الثقافية التي "تتجه إلى النص تتأمل به بهدف رده إلى الأنساق الثقافية التي تدخلت في إنتاج خطوط الدلالة، سواء تلك الخطوط الطويلة التي تتحرك بالمعنى إلى الأمام، أو تلك التي تفسح الطريق أمامه، ومن هذه وتلك يتحقق ما نسميه المعنى التكاملي، وهذه "الخطوط الطويلة تتعالق مع الخطوط الرأسية التي تحفر في الدلالة للوصول إلى منابعا العميقة و المضمرة، أي الوصول إلى الطبقات الثقافية المترسبة في الأعماق"¹؛ فنجد الرسائل الإخوانية تمثل الكتابة الحميمية التي تستغل كل العناصر الجلية لكي تحقق التخاطب من المرسل والمرسل إليه ضمن هذه الأنساق. وعلى هذا الأساس "لم تعد القراءة الثقافية للنص الأدبي تقف عند حدود تفسير مضامين النص، بل إنها تجاوزت ذلك لاكتشاف واستنباط الأنساق الثقافية المضمرة خلف البناء الجمالي للنصوص الأدبية"²، فهي بهذا العمق تستهدف المضمرة الثقافي في الخطاب الأدبي، الذي تجاوز الجمالية والفنية، منفتحًا على العالم والثقافة ما ساعد على تطوّر شبكاته الدلالية وأصبح ضمن النقد ما بعد الحدائي بعدما كان النص بنية مغلقة تفرض انغلاقه ما جاءت به البنيوية.

إن الرسالة الإخوانية تخاطب المتلقي أو المرسل إليه بعواطف إنسانية تخلو من الرسمية، "التي تصور عواطف الأفراد ومشاعرهم، من رغبة ورهبة ومن مديح وهجاء، ومن عتاب واعتذار واستعطاف، ومن تهنئة واستمناع ورتاء أو تعزية"³ وهي التي تتسم بالطابع الإنساني فهي "التي تتناول خصال النفس الإنسانية وتصور أهواءها وأخلاقها وتوضح لها طريقها إلى الخير، حتى لا تسقط في مهاوي الشر"⁴. وتصور حالة الكاتب التي تلبسه ويلبسها، وكيف إذا كانت هذه الحالة هي لحظة هروب من المرض ومن شبح الموت الذي خلقته وشكلته مرحلة عالمية وهي الكوفيد الذي غزى العالم وأحدث حالة طوارئ ورعب وسط الناس أجمعين.

على اعتبار أن الرسالة خطاب ثقافي هامشي سعينا إلى تقديم هذه القراءة الثقافية لرسائل لم يحملها ساعي البريد للكاتبة راوية يحيياوي جاء بحثنا الموسوم " الكتابة للذات والهروب من الوباء -قراءة في رسائل لم يحملها ساعي البريد لراوية يحيياوي-". في كونه يسلط الضوء على تأثير كورونا على نفسية الكاتبة وسعيها إلى مواجهة هذا الوباء بكتابتها الأدبية، وسردها لتلك القصص التي جمعتها بعائلتها في زمن مضى منطلقين من أسئلة مفتاحية:

- كيف يمكن للكتابة الذاتية أن تكون هروبا من الوباء؟

- وإلى أي مدى تستطيع الكتابات الأدبية أن تحمل صوت الذات في لحظة الخوف جراء الوباء؟

2. قراءة العنوان:

تمثل رسائل لم يحملها ساعي البريد، الصادرة عن منشورات الوطن اليوم سنة 2022 للكاتبة راوية يحيياوي عملاً إبداعياً، والعلاقة بين النص والعنوان علاقة تكاملية حيث أن اختيار العنوان لا يكون اعتباطياً وإنما يدخل في العملية الإبداعية فهو "مجموع العلاقات اللسانية التي يمكن أن ترسم على نص ما من أجل تعيينه، وكذا الإشارة إلى المحتوى العام، وأيضاً إلى جذب القارئ"⁵، والعنوان حسب كلود دويش **Claud Duchet** يحدده على أنه "كرسالة سننية في حالة تسويق، ينتج عن التقاء ملفوظ روائي بملفوظ إشهاري وفيه أساساً تقاطع الأدبية والاجتماعية، إنه يتكلم/ يحكي الأثر الأدبي في عبارات الخطاب الاجتماعي"⁶ ويعرفه أيضاً بسام قطوس في كتابه سيمياء العنوان على أنه: "نظام سيميائي ذو أبعاد دلالية ورمزية وأيقونة"⁷، وبهذا يشكل العنوان قيمة دلالية ذات معنى سواء كان هذا المعنى ظاهراً أو مضمراً، والعنوان الذي بين أيدينا "رسائل لم يحملها ساعي البريد" هو عبارة عن علامة لغوية ذات دلالة ثقافية، فهو من جهة يقدم لنا صفة المؤلف الأدبية وهويته، بحيث يجعل القارئ يدرك ما بين دفتيه من أول وهلة، ومن جهة أخرى نجده حاملاً لمعاني متخفية وأنساقاً دلالية ضمنية تدفع بنا إلى قراءته باحتمالات عدة تسبح في عالم لا تحدّه حدود لا زمنية ولا مكانية فهو حر في توجهاته.

ويرى محمد المطوي أن العنوان هو "عبارة عن رسالة لغوية تعرف بهوية النص، وتحدد مضمونه وتجذب القارئ إليه وتغويه به"⁸

صدّرت الكاتبة مؤلفها بكلمة رسائل بصيغة التنكير دلالة على التكثر وتمتاز هذه الرسائل بكثرتها وموقعها لوحدها في سطر يدل على أهميتها في خلد المؤلف.

أما عبارة (لم يحملها ساعي البريد) فلها قراءتين؛ قراءة أولى نرى فيها بأن المؤلفه وهي تختط لكتابتها بأنها تحمل عتاباً ضمناً لساعي البريد الذي لم يهتم لأمر الرسائل مهملاً إياها، والأمر بالنسبة لها جلل لموقع الرسائل في قلبها ولمكانة المرسل إليه.

وكقراءة ثانية تفترض الكاتبة لنفسها بأن لها رسائل كان من المفروض أن يحملها ساعي البريد لمبتغها ولكنها أحجمت عن فعل الإرسال وتركت الرسائل خبيء درجها لأسباب نستشفها في ثنايا متن هذا الكتاب فهي تقول: "وما مراسلتي لإخوتي وأخواتي وأمي وأبي سوى سفر إلى ما يشبني، ويختلف عني في الآن نفسه"⁹ وتقول أيضا: "بهذا يمكنني أن أسأل: بم تفكر رسائلي؟ ومن تخاطب بعد أهلي آل يحيياوي؟ وما نحن في بيتنا العتيق، ضمن العالم؟ الآن وغدا؟"¹⁰ فهي بهذا تقدم لنا طابعا ثقافيا فنيا يشتغل على الكينونة الأدبية للمنجز، وعلى الكينونة الذاتية للكاتب "ولأن الرسائل تقول ما حدث، فهي تصل دائما، رغم أن ساعي البريد لم يحملها معه، لأنها مشحونة بذاتي، وتنقل تفاصيل الأرواح المرتعشة في، والأصوات المتعددة التي تسكن الغرفة الخلفية لحياتي"¹¹.

3. نسق اللغة:

تلعب اللغة دورا هاما في بناء النص، وهي عنصر من عناصر ثقافة المجتمع، بها تشكلت منظومة العقل البشري؛ فلا يمكننا إدراك العالم، حتى التفكير فيه وفهمه إلا من خلال اللغة، فهي علامات يستعملها الإنسان للتعبير عن أفكاره بغية التواصل مع الآخرين.

إن اللغة نواة لإنتاج المعنى باعتبارها نظاما تواصليا يفترض وجود ذات متكلمة تقوم بإنجاز فعل لغوي، منظم يفترض وجود ذات متلقية تقوم بتفكيك هذا الفعل الكلامي من خلال اكتشاف هذا النظام. إضافة إلى السياق المؤطر للعملية التواصلية، الذي يضمن لنا صيرورتها بتوفير جملة المعطيات الاجتماعية والثقافية التي تتفاعل مع المحتوى التواصلية، وعلى هذا الأساس تستطيع الذات المتكلمة تحديد قصدها من خلال الكلام وإبلاغ الذات المتلقية بقصديتها.

وبهذا ننظر للغة على أنها "نشاطا تواصليا لإنجاز أفعال تواصلية"¹² بحيث أن الذات المتكلمة تنتج لنا نصا متناسقا لغويا، وليس فقط كلمات متراففة داخل جمل منفصلة، وهذا ما جعلنا نعود إلى طرح ياكبسون R. Jakobson الخاص بالتعامل مع اللغة بوصفها جملة من الوظائف المتداخلة في الفعل التواصلية، وقد حددها بستة وظائف، بناء على الأطراف الفاعلة والمكونة لفعل التواصل، وهي (المرسل، الرسالة، المرسل إليه، السياق، الاتصال، الشفرة).

واللغة هي الوسيط الفاعل بين الكائن وكيونته بل هي الكاشف عن كينونته الحقيقية، فنحن نحيا تجربة اللغة حيث أنها تعبر عن نفسها بنفسها إننا نعيش فيها ونألفها من دون أن ننتبه لها في العادة فنجد هايدغر يتحدث عن علاقتنا نحن البشر باللغة يقول: "لم يعد الإنسان هو المتكلم، فاللغة تتكلمنا ونحن علينا الإصغاء إلى صمت الكلام وإلى روح النشيد"¹³ أي أننا نعبر عن ذاتنا وعن العالم عبر اللغة وبواسطتها، فهي أسمى من أن تكون مجرد أداة، فاللغة هي التي تتكلمنا وتجعلنا نندمج في قلوبها اللغوية ونستسلم لها طواعية لا نتحكم فيها بقدر تحكمها فينا.

وإذا كانت اللغة تواصلية تقول الجانب النفعي في حياتنا فإن الرسائل ستقول الخفي الذي نبحث عن وجوده، مشيرة إلى أدق تفاصيل إحساساته كما يقول نتشه لقد اخترعنا الفن حتى لا نموت من الحقيقة، والحقيقة هي ما نستنطقه من الواقع باستخدام الفن الحامل لأنساقه المتعددة. تستحضر الكاتبة راوية يحيياوي برسائلها الواقع بتفاصيله وتستعين بالمتخيل السردى وبأصوات تحدّثت عنها لتسرد لنا سرّ كل صوت، تقول: "تبقى هذه الرسائل تقاوم وتؤجل الموت الذي يحيط بنا من كل الجهات، ولا أمان للمرض ولكن اللغة تفعل"¹⁴، وعن الحقيقة التي تحملها اللغة تقول الكاتبة بعد انتهائها من كتابة الرسائل: "وأخيرا كتبت كلّ رسائلي، لكني لم أكتب كلّ شيء، فقط بعض الحقيقة وربع تجربة، وخمس الوعي، وكم أسرفت في فعل التذكر، ومن استراحت ذاكرتي، أيقظت قلبي المكتنظ حتى يقول"¹⁵.

لقد استطاعت راوية يحيياوي أن تمر لما هو أعمق داخل اللغة عبر هذه الرسائل مستعينة بحسها المتعالي عن الإدراك الواهي الذي أكسبها رؤية متوجهة داخل مجموعة خطابات مضمرة تجاوزت من خلالها كينونة اللغة وحصاراتها إلى انسيابية العبارات والصور، مؤلدة لديها القدرة على إنتاج الرموز وإنتاج المفاهيم المدركة داخل هذا الخطاب الذي يقول عنه ريكور أنه حدث اللغة أي أن شيئاً ما يحدث عند تكلمنا، والحدث في قصديته قد يتحقق زمنياً حاملاً مضمرة خارج الزمان يكشف عنها القارئ لحظة دخوله أغوار الخطاب.

واللغة في رسائل راوية لغة قصدية بامتياز: فهي لم تستند إلى فكرة الكذب السردى لتنسج رسائلها العائلية من الأم والأب إلى الإخوة والأخوات بل سردت لنا الواقع بثنائياته الضدية، حلوه ومره، قسوته ورخائه، فنجدها تخبرنا عن أشياء علقت بذاكرتها منذ الطفولة، نقلتها إلينا بحب الأخت وبر البنات، وشاعرية الكاتبة؛ لتخلدها بذلك عبر الزمن منتقية لكل فرد من عائلتها إهداءً وصفة معبّرة من خلاله عن شعورها الشجي نحوهم فتقول:

"إلينا

أمي في ملكوت العطاء الجمّ

أبي في سدرة الحماية

فاطمة في ذروة الصبر

محمد الطيب في أفق حكمة الحياة

وإليّ حين أعود إليّ

أرزقي في شفق النقاء

زينه في سماوات السخاء

سمير في ذروة التضحية والكبرياء

سميح في عروج التفاني

فهيمة في أفق الصفاء

سرّء في برج الود

سعد في علوّ الجمال

سلمى تاج الأخوة

سامي في سماء نبلة".

" يشغل الانفعال – في الرسالة- عندما تختار اللغة قدرها عبر خطاب متكلمها، كما تحوي شجاعة تحتفي بالحدث، وبكثير من الترقب، وقد تحدث هزة ما.¹⁶ وهذا يمكننا القول إن راوية كتبت رسائلها هذه بكثير من الحب والامتلاء العاطفي، فجعلتنا نسافر معها عبر زمن الحكيم منطلقين من حاضر الشوق إلى ماضي الأُنس والتألف.

4. المضمون الثقافي لرسائل لم يحملها ساعي البريد:

1.4. الحنين والاعتراب: الحنين ذلك الشعور المتصل بالاعتراب له من المعاني ما يدل على عيش الإنسان حالة غريبة مع الذات، وفي رسائل راوية الإخوانية نلاحظ أن الذات الكاتبة تحمل الكثير من الحنين والشوق وتعيش حالة اغتراب مع نفسها وعن أهلها أيام الكوفيد 19، ما جعلها تكتب هذه الرسائل لتناجي بها المرسل إليه. فالغربة هي ذلك " النوى والبعد"¹⁷، ويقال غربّ في الأرض أمعن فيها فسافر سفرًا بعيدًا¹⁸.

كما أن مصطلح الاعتراب من أكثر المصطلحات تداولاً في الكتابات الفنية والرسائل الأدبية يأتي متصلاً مع مصطلح الحنين.

ومن معاني الحنين الشوق والتوقان¹⁹، يقال: حنّ إليه واستحنّ إلى الشيء، اشتاق وتحانّ القوم: اشتاق بعضهم إلى بعض²⁰

إن الاعتراب النفسي هو انعكاس طبيعي للاغتراب المكاني والاجتماعي الذي يعيشه الإنسان بعيداً عن أهله ووطنه، يشعر بالشوق لهم لكنه يعجز عن لقاءهم فيكاد ذلك – الشوق والحنين- وهذا ما نلمسه في رسائل راوية لأهلها حيث تقول متسائلة: " هل يمكن للرسالة أن تختزل المسافات، وأن تنقل عطر الأرواح، وأن تؤلّف بين ما تباعد؟"²¹، وما تساؤلاتها هذه 'لا نتيجة تعدد الأنا لديها، فمرة تكون هي الانا الخائفة، ومرة الأنا المشتاقة، ومرة الأنا الطموحة، ومرة الأنا المريضة ومرة الأنا الكاتبة الشاعرة التي تريد لرسائلها أن تكون شاهد عيان على ما عانته وما جعلها تكتبها، تقول: " لكل رسالة جوهرها الحي، لكن يمكنني أن أختبر تشارك الدّوات بين كلّ الرسائل خاصة في خلق معانيها المختلفة التي تمنحنا أن نفهم "القيمة" داخل الفعل الاجتماعي، ولكل رسالة القناعات التي تتبناها عن الإنسان وجماعته"²²

" لا أركن إلى الجنس الأدبي الهامشي، إلا لأمنحه من ذاتي المختلفة"²³

إن رقة الإحساس تجعل الكاتبة تواجه صعوبة تحمّل المرض والاعتراب عن الأهل، تقول مخاطبة أمها في رسالتها الأولى " كل ما تبقى مني -يمّا- هسيس يقظة، وبضع شتلات قرنفل بيتنا العتيق، ويد بيضاء أخرجها

من جيبي الخلفي معفرة بالخدوش، ونصف قلب، وربع لسان²⁴ افتتاحها الرسائل برسالة لأمها وكأنها تقول لنا هي أمي مبعثي الأبدي وبداية نشأتي، أخبرتنا أنها ابنة الشهيد المعطاءة بسخاء مع أولادها والناس أجمعين، زاوية الدفء السكوني والمحبة اللامتناهية. حتى أننا نجدها تلبس عباءة المتصوف في رسائلها " ما في الجبة إلّاك" وكأنها بهذا الاستثناء تلغي وجودية غيرها ثم تردف بكلمة "يمّا" في صيغة النداء. هي الأم التجسيد الحقيقي للحب اللامشروط تقول: " هكذا أراك أمي، نصفك عطاء، والنصف الآخر دفاء، قد تسقط أوراق العمر، الواحدة تلو الأخرى، وقد تنكسر حصالة السنين وتمضي، لكن فيوضات يما طاعنة في المحبة، راسخة في العطاء، وتشهد لك كلّ طرقات بلدتنا كم مررت إلى هناك، وكم منحت من خير للغلابي²⁵، ثم تردف معبرة عن صعوبة التعبير وعجز اللغة عن الوصف والبوح في حضرة هذا الكائن المقدس فنقول: " وعندما أتحدث عنك يما تتعطل اللغة، وأنا الضليعة في الكلام. وفي كلّ الوقت الضرب كنت فانوسا يمنحنا نور الطريق"²⁶.

أما في رسالتها لوالدها تخبرنا كم أنها تشعر بغربة عميقة وحنين يطاردها كلما تذكّرتة وهي المرافقة له والصحابة تقول: " لم أكن أعلم أن الأبوة بأريج الكون، في صدر المسافات الحبلية بالحنين، وأنا التي تقيم بين حكاية مكانين منفصلين، وأتجلى في الجمال، كلما شممت عطرك النبي. كم كان وجودك بيننا أنيقا حتى الدهشة، ويحبل بوهج المعاني في استعارات حية"²⁷

4.2. الحب: إن الذات الكاتبة تحمل في داخلها كمّاً كبيراً من المشاعر المتضاربة والثنائيات المتصاحبة، تعيش الاغتراب وسط الآخرين، والحب وسط الأسي، والألم وسط التشافي. فنجدها في رسائلها هذه تحكي الحب وتعيشه بكل تفاصيله في حياتها منذ كانت صغيرة، في صحبة والديها وإخوتها وزوجها، بالكتابة عن الحب تدغدغ شغاف القلب، لأنها تتكلم بلغة الحب ولغة الروح، ترسل برسالتها لأبيها وتقول: "أحبك أبي بحجم السماء والكون... وكم أرتجف داخل اللغة، لأكتبك أبي...كم تخون اللّغة... وكلّ عام وأنت أبي الحيّ"²⁸

وتخاطب أختها زينة قائلة: " وكان الأجل وحده يسحرك... وها قد عدت إلى نورك مرّة أخرى بخطى حيّة، وبسقاء القلب واليد، فما أشبهك بالشمس، التي لا تمل من أشعتها، مع أنها لغيرها، فكم أنت عظيمة..... وكم أحبك"²⁹.

وترسل إلى أختها فهيمة تقول لها: "ها أنت جميلة كما لم تكوني يوماً، وأما تمنح قلبها لطفلها بكل ما أوتيت من حنان، وكلما التقينا في بيتنا العتيق، نفتح بهجتنا، على مواسم أخرى، من عطاء. أما الآن، فإني أعبّر إليك من تخوم كل الصبايات، وأستعيد معك بعض أسرار المعنى، وما زلت أقرأ فيك كتاب التكتّم، لأنك الجمال المبتهج وعمق الحلم... فهل لي أن أضمك فهيمة بعمق، وأستأنس برعشة البتول.... فكم أحبك رغم كل الاختلاف"³⁰

وإلى أختها سراء تقول: واصلي الطريق، وكلّما تعبت، توقفي لرد النفس، ولا تلتفتي أبداً، فلا حياة تشبه أخرى كما حظوظنا، وإن حدث وأن توقفت، خذي قدرك بالأحضان، ككل مرة، وتأبطي ركضك صوب المستحيل، هذه هي سراء بيتنا العتيق، التي أدهشتني، وما تزال... فكم أحبك"³¹

وفي رسالتها لأخيها سعيد كتبت له تذكر أول زيارة له للجزائر بعد سفره الطويل: "آخر مرة زرتنا في الجزائر، كنت أتأمل تلك الخصلة الشقراء التي لم تعد تظهر جيداً، لكنني رأيت نضجك الجميل، ووجهك باسم القسمات يفيض بالخير العميم، ورأيت عيونك التي تحمل إصراراً أجمل على أن تستمر بخطواتك الواثقة، فطوبى لك من جميل اختيار الوجه الوضيء من الحياة...كم نحبك..."³²

القارئ لهذه الرسائل يلامس الكثير من المحبة الصادقة، والحب اللامشروط الذي كانت تعيشه عائلة راوية ليجعل منها الشاعرة والكاتبة بحس مرهف، وروح ليّنة، كيف لا وهي منذ نشأتها تربت على العطاء بسخاء والاحتواء اللامتناهي.

4. 3. الحزن والألم: مواقف الحزن والألم التي عاشتها راوية كثيرة تسردها وهي متألمة من سطوة المرض والفيروس عليها ومن اشتياقها لأهلها في فترة الحجر العالمي الذي فرض علينا حضر الالتقاء قبل حضر التجوال، فكانت روحها تأنّ ومواجعها تزيد، ما أحدث فيضان المشاعر وتدفقها وما أخذ بها إلى كتابة هذه الرسائل، فالمرض يجعل صاحبه يبكي حاله في لحظة تفكّر.

ومما كتبت راوية عن الحزن: "كم كنت أفهم زفراتك الخجلى، وأنت تقولين: إذا مت الآن، لم ألحق حتى قوت نهاري، لأننا كنّا نسرق اللقمة من فمك، ونحن صغاراً ولم ندعك ترتاحين من زحام المشاغل، على رأسك الصّغيرة التي علمتها كيف تدير الهموم الكبيرة"³³

تحكي عن نشأت والدها وما قاساه من ألم وقهر قائلة: "جئت -أبي- إلى هذا العالم بجرح اليتيم الفاجر، ولم يكن هذا كل متاعك،...وقد تخلى عنك كل الوطن، وكان يجلدك كل مرة، بكل جحوده، ولم يمنحك غير اليتيم العتيق"³⁴

وتخاطب أختها الكبرى قائلة: "كنت ابنة العائلة، التي تحملت أوزار الجميع إلا راحتها، وتفكر في الجميع، وتنسى نفسها...ويسقط قلبها منهاراً مراراً أمام عينيها، في خيبات متتالية وخرساء...كنت أرى الرغبات تذوي عندك ميتة، فلا شيء يورق في روحك المتعبة"³⁵

وفي كتابتها رسالة لنفسها تحكي عن معاناتها مع الكوفيد19 متألمة حدّ الوجع الساكن جسدها: "عندما راسلت كلّ أهلي واحداً واحداً، بعثت برسالتى لراوية، وبعدها ذقت بعض الموت، بعدما سكن الكوفيد في جسدي"³⁶

"لم يعد قلبي المعقّر بجراحات صحتي يثق في وقوفي المتململ، لأنني أمشي بجسد منك، هذبته علب الأدوية، التي لم تعرف سوى تسكين ألبي، وعندما تفقدت وجهي يوماً، لم أرفيه إلا بقايا ملامحي الرقيقة، والباقي انتفخ، ولم أعد أعرفني، وكان علي أن أتعايش مع الجسد الهش بكل تفاصيله، وأسكن داخلي تماماً" وتستمر

راوية في كتابة الألم والحزن داخل رسائلها لأخوتها تذكّرهم به بقدر تذكّرها للحب والألفة التي سكنت قلوبهم وأرواحهم داخل البيت العتيق الذي ترك أثرا كبيرا في روح راوية لمسناه من خلال رسائلها الأربع عشرة، فقد كانت شديدة التعلق به وكأنه مركز الكون وأول انبعاثه.³⁷

الكاتبة من خلال رسائلها لنفسها تصور لنا حالة الحزن الشديد علة نفسها وحالها الذي آلت إليه جراء مرضها بوباء كورونا، فأصبحت روحها هشة، المرض الذي يجعل صاحبه يكتب بألم، فكلم هو صعب أن يصور الكاتب حالته المرضية، ينتظر موته دون أحد معه، يودع نفسه قبل أن يودع أهله وأقاربه. إنه الفيروس الذي لاقى الكثير من البشر حتفهم بسببه، انتقال من حالة الخوف والهلع إلى ما هو أبشع وأمر إنه الموت.

5. خاتمة:

في ختام هذا البحث، يجدر بنا أن نبرز أن الرسالة الأدبية تتميز بطابع فريد وماهية مختلفة تمامًا عن أنواع أخرى من الأدب، إذ تحمل في طياتها كيمياء الحس الكتابي، الذي يشكل الدافع الأساسي وراء فعل الكتابة. تتناول هذه الرسائل لحظة التماس فريدة تحدث بين الذات وتفصيل الذاكرة، حيث تعبر عن صوت الكاتبة وعواطفها في لحظة الحضور الفعّال.

إن الرسالة تسعى جاهدة إلى التعبير عن جمالية كينونتها الفنية من خلال رسائل موجهة نحو أفراد العائلة الذين يتحولون من مجرد أفراد إلى قرّاء ومتلقين، ليصبحوا أيضًا أفرادًا وراقين يتلقون الرسائل ويرسلونها فالكاتبة في ذكرها لكل فرد من العائلة تكون قد شكّلت علاقة تواصل بين المرسل إليه والمتلقي القارئ بطريقة غير مباشرة بحيث تتشكل لدى المتلقي الصورة الذهنية بمدلولاتها عن المرسل إليه، وفيما يتحول الاسم إلى وسم، حيث تتداخل الروح بين حروف الكلمات، وتظهر للحروف غصة ونشوة، تعكس ما يتماشى مع مضمون الذات الإبداعية وتفردتها الفني.

الهوامش

¹ محمد عبد المطلب، القراءة الثقافية، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2013، ص 20.

² عبد الرحمان النوايتي، السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، 2016، ص 108.

³ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، دار المعارف، ج 3، القاهرة، مصر، 2004، ص 419.

⁴ المرجع نفسه، ص 502.

⁵ عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 1، 2011، ص 17.

⁶ عبد الحق بلعابد، عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناهج، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2008، ص 68.

⁷ بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط 1، 2001، ص 6.

الكتابة للذات والهروب من الوباء

قراءة في "رسائل لم يحملها ساعي البريد" لراوية يحياوي / الريم حجوج

- 8 محمد الهادي المطوي، شعيرية عنوان كتاب الساق فيما هو الفاريق، مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد 28، العدد الأول، يوليو 1999، ص 457.
- 9 راوية يحياوي، رسائل لم يحملها ساعي البريد، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، 2022، ص 5.
- 10 المرجع نفسه، ص 7.
- 11 المرجع نفسه، ص 8.
- 12 زتسيسلاف واورزنيك، مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص)، تر: سعيد حسين بحري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2003، ص 21.
- 13 علي الحبيب الفريوي مارتن هايدغر "الفن والحقيقة" أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقيا، دار الفارابي، ط 1، بيروت، لبنان، ص 250.
- 14 راوية يحياوي، المرجع السابق، ص 6.
- 15 المرجع نفسه، ص ن.
- 16 راوية يحياوي، مرجع سابق، ص 8.
- 17 الصحاح إسماعيل بن عبّاد المحيط في اللغة، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1994، ج 5، ص 72.
- 18 إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط (مادة غرب) ج 2، ط 2، القاهرة مصر، 1972، ص 647.
- 19 الرازي، مختار الصحاح (مادة حنن) مكتبة لبنان 1989، ص 140.
- 20 إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، ص 203.
- 21 راوية يحياوي، مرجع سابق، ص 6.
- 22 المرجع نفسه، ص 7.
- 23 المرجع نفسه، ص ن.
- 24 المرجع نفسه، ص 13.
- 25 المرجع نفسه، ص 16.
- 26 المرجع نفسه، ص 17.
- 27 المرجع نفسه، ص 22.
- 28 المرجع نفسه، ص 27.
- 29 المرجع نفسه، ص 64.
- 30 المرجع نفسه، ص 83.
- 31 المرجع نفسه، ص 91.
- 32 المرجع نفسه، ص 98.
- 33 المرجع نفسه، ص 15.
- 34 المرجع نفسه، ص 21.
- 35 المرجع نفسه، ص 35.
- 36 المرجع نفسه، ص 5.
- 37 المرجع نفسه، ص 47.

المصادر والمراجع:

المؤلفات:

- 1- بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط 1، 2001، ص 6.
- 2- راوية يحياوي، رسائل لم يحملها ساعي البريد، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، 2022، ص 5.
- 3- زتسيسلاف واورزنيك، مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص)، تر: سعيد حسين بحري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2003، ص 21.

الكتابة للذات والهروب من الوباء

قراءة في "رسائل لم يحملها ساعي البريد" لراوية يحيى / الريم حجوج

- 4- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، دار المعارف، ج3، القاهرة، مصر، 2004، ص419.
- 5- عبد الحق بلعابد، عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناهج، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص68.
- 6- عبد الرحمان النوايتي، السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2016، ص108.
- 7- عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص17.
- 8- علي الحبيب الفريوي مارتن هايدغر "الفن والحقيقة" أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقيا، دار الفارابي، ط1، بيروت، لبنان، ص250.
- 9- محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان كتاب الساق فيما هو الفارياق، مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد28، العدد الأول، يوليو1999، ص457.

المعاجم:

- 1- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط (مادة غرب) ج2، ط2، القاهرة مصر، 1972، ص647.
- 2- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص203.
- 3- الرازي، مختار الصحاح (مادة حنن) مكتبة لبنان 1989، ص140.
- 4- صاحب إسماعيل بن عبّاد المحيط في اللغة، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1994، ج5، ص72.